[226] يَسمَعُونَكم إذْ تدعون أو يَنفَعونَكم اَو يَضرّون) ، أي أنّها (الأصنام) إن لم تنفع ولم تضرّ فلابدّ من أن تسمع نداء عبّادها على الأقل وإلاّ لا معنى لعبادتها . ولكن اُولئك الذين لم يجرؤوا على الإدّعاء بأنّ الأصنام الحجرية والخشبية تسمع دعاءهم وتضرّعهم ، كما أنهم لم يمتلكوا دليلا على إثبات ضرّها ونفعها لتبرير عملهم ، إضطرّوا للتمسّك بأسلافهم والتشبّث بالتقليد الأعمى وقالوا : (بَلْ وجَدنا آباءَنا كذلك يَفعَلون) . وهذا الجواب وإن كان مخجلا إلاّ أنّهم لم يملكوا شيئاً ليقدّموه . وفي طول هذه الآيات يردّهم إبراهيم ((عليه السلام)) بمنطق رصين : (قالَ أفرأيتُم ما كنتُم تَعبدونَ * أنتُم وآباؤكُم الأقدَمون * فانّهم عَدوٌ لي إلاّ رَبّ العالَمين * الذي خَلَقني فهو يَهْدين * والذي هو يُطعِمني ويَسقِين * واِذا مرِضتُ فهو يَشفِين * والذي يُميتني ثمّ يُحيين * والذي أَطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)(1). أي أنّه أهل للعبادة فهو المبدء لكلّ الخيرات والبركات ، لا تلك الموجودات الخاوية والفاقدة للقيمة . وتنقلُ الآية الثالثة كلاماً لقوم فرعون وفيها إنعكاس لهذا المضمون بشكل آخر حيث تقول : (قالوا اَجئتَنا لِتلفَتنا عمّا وَجَدنا عليه آباءَنا وتكونَ لكما الكبرياءُ في الأرض)(2) وعليه (وما نَحنُ لَكُما بِمُؤمنين) . انّهم إستندوا ـ في الحقيقة ـ إلى هذه النقطة فقط لإثبات صحّة مسلكهم وقداسته وهيى أنّ هذا هو طريق الأسلاف ودينهم وعادتهم ، ولكي يتّهموا موسى وهارون بأنّهما يتآمران قالوا : إنّكما تبغيان الحكومة عن طريق الدعوة إلى التوحيد وهدم الشرك وعبادة الأصنام من أساسها ولا نسمح بذلك ! ويبدو أنّ هذا الكلام اُلقي من قبل زبانية فرعون حيث عارضوا دعوة موسى وهارون

_____ 1 ـ سورة الشعراء : آية 75 ـ 81 . 2 ـ (لتلفتنا) من (لفت) وهو الصرف عن الشيء أو الإلفات إلى الشيء لو تعدّت بـ (من) فإنّها تعني الإنصراف و بـ (إلى) فإنّها تعني (التوجّه) .